الباب الأول

القـــرآن دواء وشفـــاء

الباب الأول
القرآن دواء وشفاء

هذه حقيقة مؤكدة بالقرآن والسُّنَّة :

قال تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[الإسراء: ٨٢].

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾[فصلت : ٤٤].

وقال ﷺ : «**عليكم بالشفاءين، القرآن والعسل**».

فآيات القرآن الكريم تخص المؤمنين وحدهم بالشفاء به أما الظالمين وغير المؤمنين فلا يزيدهم القرآن إلا خساراً وعمى لبصيرتهم التي بها يدركون الحق من الباطل فيصور لهم الشيطان أن التداوي بالقرآن دجل وشعوذه كما يدعي البعض ، وحاشا لله أن يكون كلامه كذلك، فالعيب فيهم وليس في القرآن .

فإذا قرأ المريض القرآن ولم يجد فيه الشفاء فليرجع إلى خالقه ويتوب إليه ويستغفره حتى يصل إلى درجة الإيمان التي عندها يجد الشفاء في القرآن لأن الإيمان اعتقاد راسخ في نفس الإنسان بكل ما جاء به رسولنا الكريم ﷺ من قرآن وسُنَّة، قال رسول الله ﷺ : «**الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**» .

فالإيمان بالله عز وجل يدخل فيه الاعتقاد بقدرته على الشفاء وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

والإيمان بكتبه يدخل فيه الإيمان بأن القرآن شفاء من الامراض والإيمان بالقدر خيره وشره يجعل الإنسان صابراً على البلاء راضيًا بحكم الله ، فيلجأ إليه

بالتضرع والدعاء والاستغفار ، ويعلم أن البلاء كفارة للذنوب .

قال رسول الله ﷺ : « **ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ، ولا همّ ولا حزن ، حتى الشوكة يشاكها إلا كَفَّرَ الله عنه بها من سيئاته** » .

وأن يكون الإنسان دائمًا مع ربه في إحدى الحالات الآتية :

■ إما في حالة خوف من ذنوبه فيستغفر الله ويرجوا عفوه فيرفع ربنا عز وجل عنه البلاء .

قال رسول الله ﷺ : « **من لزم الاستغفار جعل الله له من كل همٍّ فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ، ورزقه من حيث لا يحتسب** » .

■ أو صابرًا على البلاء راضيًا بحكم ربه ولا ييأس من رحمته ويتضرع إليه بالدعاء .

قال رسول الله ﷺ : « **لا يُغني حذر من قدر ، وإن الدعاء لينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فما نزل يدفعه ، وما لم ينزل يرفعه ، وإن البلاء لينزل والدعاء ليصعد فيعتلجان إلى يوم القيامة** » (أي يتدافعان) [حسن صحيح الجامع] .

■ أو شاكرًا لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، فإن سُلب منه نعمة ، فهناك نعم كثيرة أخرى يتمتع بها فإذا حمد الله زاده ربنا عز وجل من فضله ورفع عنه البلاء، قال تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧** ﴾ [إبراهيم : ٧] .

وبذلك يصل إلى درجة الإيمان التي عندها يجد الشفاء بإذن الله .

أما كيفية الاستشفاء بالقرآن :

أن يضع المريض يده على رأسه أو على مكان الألم ، ويقرأ الفاتحة والإخلاص والمعوذتين وآية الكرسي ، كل ثلاث مرات ثم يدعو ربه ويتضرع إليه في انكسار وذُل طالبًا الشفاء منه .

وفي حديث قال ﷺ : « **أن يضع يده مكان الألم ويقول : بسم الله ثم يقول سبعًا : أعوذ ـ بالله ـ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر** » [رواه مسلم] .

فالفاتحة هي الشافية ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأها على المريض فيشفى بإذن الله .

وقال ﷺ : « **إن من أعظم سور القرآن المعوذتين ، ما سأل أحد بمثليها أو الاستعاذ بمثليها** » [أخرجه أبو داود] .

فبعد قراءة القرآن تطمئن نفس المريض ويشعر بالرضا والصبر ، ويُذهب الله عنه رجز الشيطان مما يُعجِّل من شفائه .

قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾ [الرعد : ٢٨] .

وسوف نتحدث إن شاء الله بالتفصيل عن العلاقة بين الإيمان بالله والصحة النفسية والبدنية ، وإذا صبر الإنسان كان الله معه وخاصة إذا لم يشكو ما هو فيه لعواده .

قال ﷺ عن رب العزة : « **إذا لم يشكوني عبدي لعواده ، أبدلته لحمًا خيراً من لحمه ، ودمًا خيراً من دمه ، ثم يستأنف عمله** » .

وقال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [البقرة:١٥٣] .

فإذا كان الله معه هداه إلى ما ينفعه وما فيه شفاؤه وقد يكون بجواره وهو لا يدري من طعام أو شراب أو أعشاب طبية أو يدله على طبيب يكون سببًا في شفائه « وأقول سببًا حتى لا يعتقد البعض أنه بغير الطبيب أو الدواء لا يكون الشفاء » ، فالشفاء بيد الله وحده سواء كان على يد طبيب أو بغيره وهذه أول درجات التوكل .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق :٣] .

أما أعلى درجات التوكل على الله فهي الاعتقاد بأن الله قادر على الشفاء بدون سبب لأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، وأمره إذا أراد شيئًا أن يقول له : كن فيكون.

فالذي أخرج يونس ـ عليه السلام ـ من بطن الحوت ، وكشف البلاء عن أيوب ـ عليه السلام ـ قادرٌ على كل شيء .

سوف يقول قائل هذه كانت معجزة للأنبياء فأين نحن منهم ، وأقول إنها معجزة للأنبياء ولمن سلك دربهم وسار على نهجهم من الصبر والإيمان وذكر الله والتضرع إليه ، فما أخرج يونس ـ عليه السلام ـ من بطن الحوت إلا تسبيحه لله عز وجل واعترافه بذنبه وهو في بطن الحوت .

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الصافات١٤٣ـ ١٤٤].

وما كشف البلاء عن أيوب إلا صبره على البلاء ورضاه وتسليمه لأمر الله .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ٤٤] .

فخالق المعجزات حي لا يموت،ولكن الإنسان هو الذي لا يصبر، انظر إلى قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء :٨٨].

أي من قال مثل ما قال يونس ينجيه ربه من الغم .

وعن أيوب عليه السلام قال : قال تعالى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٤) ﴾ [الأنبياء : ٨٤] .

أي من صبر مثل أيوب استجبناله وصرفنا عنه البلاء، أما خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فقد أُبتلي أشد البلاء وكان مثلاً في صدق التوكل على الله تعالى .

فعندما أُلقى في النار جاءه جبريل عليه السلام وسأله : أَلَكَ حاجة ؟ ، قال عليه السلام : أما

لك فلا ، ولكن علم ربي بحالي يغنيني عن سؤاله ، وقال : حسبي الله ونعم الوكيل ، فجاءته الإجابة سريعًا من رب العالمين وأمر الله النار ألا تحرق جسدًا توكل عليه ، قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

هكذا يكون صدق التوكل على الله ، وقد كان من دعائه عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام .

قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء : ٧٨-٨٠] .

وهذه القصص يقصها علينا ربنا عز وجل حتى لا نيأس من رحمته وتكون لنا إسوة نتأسىٰ بها فنصبر ونحتسب ونرجو رحمته .

وقد سمعنا في زمننا هذا بعض القصص التي حدث فيها المعجزات لمرضى كان لا يُرجىٰ شفاؤهم ولكن صبرهم وتضرعهم إلى الله جاء بالشفاء العاجل .

منها قصة رجل من صعيد مصر كان ضريراً لمدة تسعة عشر عامًا كاملة وفي ليلة القدر تضرع إلى الله عز وجل بالدعاء وهو ساجد فاستجاب له ربنا وردَّ عليه بصره .

والمغربية التي كتبت كتابًا عن شفاؤها من مرض كان ميؤس منه بشهادة أطباء فرنسيين ثم شُفيت تمامًا بعد أن زارت الأراضي المقدسة وشربت من ماء زمزم وتضرعت إلى ربها بالدعاء وغيرها كثير ، ولكن الإنسان لا يعتبر لعدم رسوخ الإيمان في قلبه ولعجلته وحب الدنيا .

وسوف أروي لكم قصة سيدة أعرفها عن قرب ، هي سيدة من عائلة مرض السكر فيها متوارثًا ، ولها أخت بعد الولادة الثانية وهي في مقتبل العمر ظهر عليها أعراض المرض وتاكد ذلك بالتحليل ، فاستمرت في العلاج بالأدوية مدى

الحياة وأصيبت أيضًا بمرض القلب ، في حين أن هذه السيدة بعد ولادة طفلها الأخير شعرت بوهن وضعف ، وكان ذلك في شهر رمضان فتضرعت إلى الله بالدعاء وهي صائمة ، فهداها إلى تناول الحلبة كي تدر اللبن ، فأحست بتحسن ملحوظ وعادت طبيعية وتأكد عدم وجود سكر بالتحليل ، واستمرت حياتها كلما أحست بهذا الضعف لجأت إلى تناول الحلبة فتبرأ بإذن الله .

وفي إحدى المرات لم يكن عندها الحلبة وعند التحليل ظهر السكر وكانت قد تجاوزت الستين وبعد تضرعها إلى الله عرفت أن الحلبة تعالج هذا المرض فتركت الدواء واستمرت في العلاج بالحبوب إلى أن شُفيت تمامًا بفضل الله مما أدهش الأطباء ، أليس ذلك أكبر دليل على أن الشفاء من عند الله الخالق البارئ؟!! .

فإذا كان الرزق بيد الله فهل من الأفضل أن أطلبه منه أو من الناس ، وإذا كان الشفاء منه وبيده وحده فهل الأفضل أن أقرع بابه مباشرة أو أن يكون بيني وبينه واسطة سواء كان طبيبًا أو دواء،هذه هي عزة المؤمن،ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

اللهم أعزنا بعزتك ولا تذلنا لغيرك آمين، آمين، آمين.

وأريد أن أشير هنا إلى أن هذه الدرجة من التوكل لا يستطيع أن يصل إليها إلا قلة من الناس ، جعلنا الله وإياكم منهم ، لذا قال ﷺ : « **سبعون ألفًا من أُمَّتي يدخلون الجنة بغير حساب** ، قالوا : من هم يا رسول الله ؟ ، قال ﷺ : **الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون** » [أخرجه البخاري ٦٤٧٢] .

فالعلاج يكون روحاني بقراءة القرآن والدعاء والاستغفار التصدق بالمال ، قال ﷺ : « **داووا مرضاكم بالصدقة ، وطهروا أموالكم بالزكاة ، وادفعوا البلاء بالدعاء** »،ثم بعد ذلك العلاج المادي بالدواء أو الأعشاب الطبية أو اتباع نظام غذائي معين كل حسب حالته ، ولا ننسى عند تناول الدواء ذكر الله وطلب الشفاء منه .

كذلك لابد أن يتذكر كل إنسان دائمًا سواء كان مريضًا أو صحيحًا حقيقة الحقائق ، وهي أننا جميعًا في هذه الأرض ضيوفًا على الرحمن، ولابد من الرحيل عنها يومًا ما ،كل حسب أجله المكتوب في اللوح المحفوظ ، فإذا جاء أجله لا يستطيع كائن من كان أن يؤخره .

قال تعالى :﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٣٥] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر : ٣٠] .

فلو كان أحد كُتِبَ له الخُلد لكان حبيب الرحمن أولىٰ به ، لذا كان من الواجب على كل إنسان أن يستعد لهذا اليوم بالعمل الصالح ، ودائمًا يذكر نفسه بهذه الحقيقة مردداً ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ .

قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ . [البقرة : ١٥٧] .

فإذا استعد الإنسان لهذا اليوم فرح بلقاء ربه وفرح الله بلقائه ، قال ﷺ : « **إذا أحب العبد لقاء ربه أحب الله لقائه ، وإذا كره لقاء ربه كره الله لقائه** » .

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها :أكراهية الموت يا رسول الله ، فكلنا نكره الموت، قال ﷺ : « **لا يا عائشة ، إنما المؤمن إذا بشر بالجنة أحب لقاء الله فأحب الله لقائه ، وأما الكافر إذا بشر بالعذاب ، كره لقاء الله ، فكره الله لقائه** » .

فهذا ابن سينا أشهر أطباء عصره، ومن وضع أساس علم الطب عندما وافته المنية لم يستطع أن يعالج نفسه ، فقد حاول ولكن سبقته مشيئة الله وهو في سفر، وكذلك حال مشاهير الأطباء أين هم الآن .

آداب عيادة المريض :

الذي يعود مريضًا ثوابه عظيم عند الله ـ عز وجل ـ قال ﷺ : « **إن المسلم إذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع** ، قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة ؟ ، **قال : جناها** » [رواه مسلم] .

فإذا عاد المسلم مريضًا طلب منه الدعاء لأن دعاؤه مُستجاب ـ إن شاء الله ـ ثم يدعو له بأن يقول : «**أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك**» ـ سبع مرات ـ ويطمئنه بأنه سيشفى بإذن الله ، فإن ذلك لن يزيد في أجله ولكن يطيب نفسه فيصبر .

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « **من عاد مريضًا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات : أسأل العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عفاه الله من ذلك المرض** » [رواه أبو داود والترمذي] .

ثم يشكر الله في نفسه ويقول :« **الحمد لله الذي عافانا مما ابتلىٰ به غيرنا** » ، فإذا قال ذلك لم يصيبه البلاء إن شاء الله .